

الإحالة ودورها في تماسك النص

(دراسة نقدية تطبيقية قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم أنموذجاً)

أستاذ مشارك : في كلية الآداب قسم اللغة
العربية - جامعة أم درمان الأهلية
أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية
جامعة أم درمان الإسلامية

د. مصعب أبوبكر أحمد إسماعيل

د. مطيع أحمد مالك الطيب

مستخلص:

تعد الإحالة من أهم عناصر التماسك النصي لأنها تربط بين أجزاء النص، فالإحالة وسيلة من وسائل الاتساق، وبها يمكن تفادي التكرار، وسبك النص وانسجامة، لذا جاءت الدراسة متعلقة بالإحالة ودورها في تماسك النص واتخذ الباحث من قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم أنموذجاً، وهدفت الدراسة إلى إبراز دور الإحالة في تماسك نص القصيدة، ومنهج الدراسة هو المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج، يمكن إيجازها فيما يلي : تنوعت الإحالات في هذه القصيدة وأخذت أشكالاً متعددة بعضها يختص بالضمائر وبعضها بأسماء الموصول وأخرى بأسماء الإشارة. تعد الضمائر أقوى وسيلة من وسائل الترابط النصي وهي أكثر العناصر استخداماً في القصيدة . وأكثر الضمائر استخداماً في القصيدة ضمائر المتكلم التي استخدمها الشاعر على لسان اللغة العربية. كذلك غلبت الإحالة النصية على الإحالة المقامية ، مما أسهم في اتساق القصيدة والربط بين مختلف أجزائها . كثرة الإحالة النصية القبلية مقارنة بالإحالة النصية البعدية.

الكلمات المفتاحية : إحالة ، تماسك ، نص

Referral and its role in the cohesion of the text (Analytical critical study)

The Arabic Language poem of Hafez Ibrahim as a model

Dr. Mosab Abu baker Ahmed Ismail Associate professor Omdurman Ahia University – college of Arts Department of Arabic Language

Dr. Moti` Ahmed Malik Al-Tayeb is an assistant professor at the Faculty of Arabic Language - Omdurman Islamic University

Abstract:

Referral is one of the most important elements of textual cohesion, because it connects the parts of the text. Referral is one of the means of consistency, by which repetition can be avoided, and the text is cast and coherent. Therefore, the study was related to the referral and its role in the cohesion of the text, and the researcher took the Arabic language poem by Hafiz Ibrahim as a model. The study aimed to: highlight the role of referral in the cohesion of the text of the poem. The method of the study is the descriptive method. The study reached a set of results, which can be summarized as follows: The references in this poem varied and took many forms, some of them specific to pronouns, some with relative nouns and others with denoting nouns. The textual reference also prevailed over the predicate referral, which contributed to the consistency of the poem and the connection between its various parts. Frequency of pre-referral text, compared to post-referral text.

Keywords: referral, cohesion, text

مقدمة :

للإحالة أهمية كبيرة في بناء النص وتماسكه، لأنها تمكن النص من الانسجام التام والربط بين أجزائه، وأهمية الدراسة في كونها توضح دور الإحالة في تماسك نص القصيدة. ومن خلال هذه الدراسة سنبين تلك الأهمية، وهذه الآلية، تطبيقاً على قصيدة اللغة العربية لحافظ إبراهيم. كذلك سنقف على التعريف بمفهوم الإحالة وأنواعها وعناصرها، توضيح الدور الذي لعبته الإحالة في تماسك نص القصيدة، تحليل عناصر الإحالة داخل نص القصيدة.

اتبع الباحثان في هذا المنهج الوصفي معتمداً على التحليل، فقاما بتقسيم الدراسة إلى مبحثين، فجاء المبحث الأول متناولاً مفهوم الإحالة، وركز المبحث الثاني على تحليل القصيدة واستخراج عناصر الإحالة التي أثرت في تماسك نص القصيدة، ثم ختمت الدراسة بخاتمة حوت أهم النتائج التي خلصت إليه الدراسة. المبحث الأول مفهوم الإحالة ووظيفتها:

ذكر اللغويون عدة تعريفات للإحالة، إلا أن جميعها تدور في كونها وسيلة من وسائل الاتساق

والانسجام؛ تربط أجزاء النص بعضها بعضاً، فعرفها «جونز ليونز»:1 بأنها العلاقة بين الأسماء والمسميات.2 وهذه العلاقة ذات طبيعة دلالية تشترط تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.3 وعرفها «دي بجراند»: بأنها العلاقة بين العبارات من جهة و بين الأشياء و المواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات.4

فمن خلال التعريفين يمكن تقسيم الإحالة إلى قسمين أساسيين، هما :

الإحالة النصية (داخلية):

وتتمثل في إحالة لفظة على لفظة أخرى سابقة أو لاحقة داخل النص ، أي أنها تركز على العلاقات اللغوية في النص ذاته وقد تكون بين ضمير وكلمة أو كلمة وكلمة أو عبارة و كلمة. وتنقسم بدورها إلى قسمين هما:5:

إحالة نصية قبلية (إحالة إلى سابق) :

وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص.6
- إحالة نصية بعدية (إحالة إلى لاحق) : وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص.

الإحالة المقامية (خارجية) 7:

هي الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج، حيث تسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام.
لذلك يطلق عليها أحياناً الإحالة الخارجية.
وهذه الإحالة الخارجية أو المقامية لها دور كبير في تماسك النص وإنتاجه وذلك لكونها تربط اللغة بالمقام الخارجي للنص.

وظيفة الإحالة :

لا تخلو لغة من مسألة الإحالة، لأنها تمثل شكلاً من أشكال الاقتصاد اللغوي في الكلام، إلا أنها تتفاوت من لغة إلى أخرى، فهي في اللغات العازلة أقل انتشاراً وأضعف شأنًا وتأثيراً، لأن اللغات العازلة لا تجد فيها ثمة ترابط بين أجزاء الجملة، فهي تقوم على وضع كل كلمة في معزل عن الأخرى. أما في اللغات المتصرفة فتحتل مركزاً مرموقاً وتلعب دوراً كبيراً في ترابط أجزاء الجملة.
فهي تُوظف من أجل تجنب التكرار، والاقتصاد في الكلام انسجاماً مع قانون المجهود الأدنى الذي يقول به اللسانيون ويؤكد مبدأ الاقتصاد العرفاني.8.

كما أن وظيفتها تكمن في تقديم المعلومات حيث ترتبط الإحالة بتقديم سلسلة من المعلومات الجديدة في شكل جزئي، ما يسهم في تنظيم الفكرة الأساسية للنص، وتلعب دوراً في تحقيق ترابط النص.

عناصر الإحالة (وسائل الاتساق الإحالية) 9:

للإحالة عدة عناصر تعتمد عليها في اتساق النص وربط أجزائه، إلا أنها تركز بشكل أساسي على ثلاثة

عناصر، هي :

الضمائر:

وهي أكثر وسائل الاتساق استخداماً في الربط بين أجزاء النص، وتستخدم للإحالة القبلية والبعدية، وتأتي الضمائر نائبة عن كلمة أو جملة أو عبارة، وبالتالي تفيد في عدم التكرار. وتذهب الضمائر أبعد من ذلك عند ربط النص بالسياق المقامي (الخارجي).

أسماء الموصول:

تكمُن أهمية أسماء الموصول في كونها تربط النص السابق بالنص اللاحق، فلا بد أن يشتمل النص على جزء سابق يشير إليه اسم الموصول؛ كما لا بد من نص لاحق يرتبط باسم الموصول؛ وهو يمثل (جملة صلة الموصول)، فعندما تكون وسيلة الربط في النص هي اسم موصول ستكون هنالك إحالة قبلية وإحالة بعدية. - **أسماء الإشارة:** تساهم أسماء الإشارة إسهاماً كبيراً في تماسك النص وانسجامه، ويشير «هاليداي» و«رقية حسن» إلى أنه يمكن تقسيم أسماء الإشارة بحسب الظروف المكانية والزمانية، والقرب والبعد وغير ذلك، فأسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت بشتى أنواعها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق، ومن ثم فهي تسهم في اتساق النصوص. 10

نص القصيدة:

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لَقَوْلِ عِدَاتِي
رَجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
وَمَا ضُقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
وَتَنَسَّقِي أَسْمَاءَ مُخْتَرَعَاتٍ
وَمَنْكُمُ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بَعَزَ لُغَاتٍ
فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
يُنَادِي بِوَادِي فِي رَيْعِ حَيَاتِي
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتٍ
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
حَيَاءً بَتْلَكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ
مِنْ الْقَبْرِ يَدِينِي بَغِيرِ أَنَاةٍ
فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّاحِحِينَ نُعَاتِي
إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرَوَاةٍ
لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ قُرَاتِ
مَشْكَلَةَ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
وَتَنَبَّأْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
مِمَّا تَلْعَمَرِي لَمْ يَقْسُ بِمِمَاتِ ١١

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي
لَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي
وَسَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مُحَاسِنِي
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي
أَرَى لِرَجَالِ الْغَرْبِ عِزّاً وَمَنْعَةً
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا
أُطِرْبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ
وَلَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
حَفِظْنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقُ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً
أَيُهْجِرُنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
سَرَتْ لَوْثَةُ الْأَفَرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ صَمٌّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلُ
فَإِمَّا حَيَاءً تَبَعْتُ الْمَيِّتَ فِي الْبَلَى
وَإِمَّا مِمَاتٍ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

شاعر القصيدة:

محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم:

شاعر مصر القومي، ومدون أحداثها نيفا وربع قرن. ولد في ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروا. وتوفي أبوه بعد عامين من ولادته. ثم ماتت أمه بعد قليل، وقد جاءت به إلى القاهرة، فنشأ يتيما. ونظم الشعر في أثناء الدراسة. ولما شب ألتف شعر الحداثة جميعا. واشتغل مع بعض المحامين في طنطا، بالقاهرة، محاميا، ولم يكن للمحاماة يومئذ قانون يقيدها. ثم التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة 1891 برتبة ملازم ثان بالطوبجية. وسافر مع (حملة السودان) فأقام مدة في سواكن والخرطوم. وألف مع بعض الضباط المصريين (جمعية) سرية وطنية، اكتشفها الانجليز فحاكموا أعضائها ومنهم (حافظ) فأحيل إلى (الاستبداد) فلجأ إلى الشيخ محمد عبده، وكان يرعاه، فأعيد إلى الخدمة في البوليس. ثم أحيل إلى المعاش، فاشتغل (محررا) في جريدة (الأهرام) ولقب بشاعر النيل، وطار صيته واشتهر شعره ونثره. وكانت مصر تغلي وتتحفز، ومصطفى كامل يوقد روح الثورة فيها، فحضر حافظ على وتيرته، فكان شاعر الوطنية والاجتماع والمناسبات الخطيرة. وانقطع للنظم والتأليف زمنا. وعين رئيسا للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية سنة 1911م، فاستمر إلى قبيل وفاته. وكان قوي الحافظة راوية، سميرا، مرحا، حاضر النكتة، جهوري الصوت، بديع الإلقاء، كريم اليد في حالي بؤسه ورخائه، مهذب النفس. وفي شعره إبداع في الصوغ امتاز به عن أكثر أقرانه. توفي بالقاهرة. له (ديوان حافظ) مجلدان، و (البؤساء) ترجم به جزئين من ال Miserable لفيلكتور هيجوا، بتصرف، و (ليالي سطوح-) و (كتيب في الاقتصاد) و (التربية الأولية) مدرسي، وهو مترجم، وشارك في ترجمة (الموجز في علم الاقتصاد) 12 عن الفرنسية.

المبحث الثاني تحليل النص:

تنوعت الإحالات في هذه القصيدة وأخذت أشكالا متعددة بعضها يختص بالضمائر وبعضها بأسماء الموصول وأخرى بأسماء الإشارة.

وإحالة الضمائر في هذه القصيدة تتمركز بصورة واضحة حول (ضمير المتكلم) الذي يعود إلى اللغة العربية. لأن حافظ إبراهيم في هذه القصيدة تحدث بلسان اللغة العربية.

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَّهَمْتُ حَصَاتِي *** وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسَبْتُ حَيَاتِي.

وردت مجموعة من الضمائر في هذا البيت، ف(تاء المتكلم) في (رجعت) فاتهمت ناديت - فاحتسبت) و(ياء المتكلم) في (لنفسى - حصاتي - قومي - حياتي)، وكثرة استخدام ضمير المتكلم في هذا البيت يزيد من فصاحة البيت، لأن الشاعر جرد من اللغة العربية شخصية وتكلم بلسان هذه الشخصية. ونوع الإحالة في هذا البيت إحالة داخلية (نصية).

رَمَوْنِي بِعَقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي *** عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي

جاء في بداية البيت ضمير الرفع المتصل وهو (واو الجماعة) في (رموني) فالمحال إليه خارج النص،

وهم أهل العربية، فهذا يندرج تحت الإحالة الخارجية أو (المقامية) ويتكرر في البيت ضمير المتكلم كثيراً، فنجد (الياء) في (رموني _ ليتني _ عداقي)، و تاء المتكلم في (عقمت)، وضمير المتكلم المقدر في الفعل (أجزع).

وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَّاسِي *** رَجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي

ونجد كذلك من ضمائر المتكلم، التاء في (ولدتُ _ وأدْتُ) وضمير المتكلم المقدر في الفعل (أجد)، و الياء في (لعراسي _ بناتي)، فهنا لعبت إحالات ضمائر المتكلم دوراً في توضيح الدلالات المجازية. حيث استطاع الشاعر أن يصور اللغة وهي حزينة وترثي نفسها.

وَسَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً *** وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

وردت تاء المتكلم في موضعين (وسعت _ وما ضقت) فجاءت مؤكدة على اتساع اللغة وقدرتها على التعبير، والدليل على ذلك أنها وسعت كتاب الله، فجاء ضمير الغائب في عبارة (به) عائداً على كتاب الله.

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ *** وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتٍ

في هذا البيت جاءت الإحالة مرة واحدة وعنصر الاتساق في (أضيق) وضمير المتكلم محذوف تقديره (أنا). وهذه إحالة نصية.

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُ كَامِنٌ *** فَهَلْ سَأَلُوا الْعَوَاصَ عَنْ صَدَاقِي.

بدأ البيت بعنصر من عناصر الإحالة وهو ضمير المتكلم (أنا) الذي يرجع إلى اللغة العربية، فجرد الشاعر من اللغة العربية شخصاً متحدثاً فوصف نفسه بالبحر، وهذا البحر في أحشائه الدر، فجاء ضمير المفرد الغائب في عبارة (أحشائه) يعود إلى البحر، وهنا نوع الإحالة داخلية (نصية) وهي إحالة إلى سابق .

فَيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي *** وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاقِي.

جاء في البيت ضمير المخاطب في موضعين (ويحكم _ ومنكم) وهنا تخاطب اللغة أهلها وتتهم بالتقصير، فلا تكلوني للزمان فإنني *** أخاف عليكم أن تحين وفاتي.

جاءت الإحالة في جملة (فلا تكلوني) محتوية على ضميرين يمثلان عناصر الاتساق، فالضمير الأول (واو الجماعة) الذي جاء في موضع الرفع، وياء المتكلم التي ترجع إلى اللغة العربية.

وكذلك جاء ضمير المتكلم في عبارة (فإنني) وهي إحالة نصية . وتحتوي جملة (أخاف عليكم) على ضميرين، الأول ضمير مستتر تقديره (أنا) وهو راجع إلى اللغة العربية، والضمير (كم) الذي جاء في موضع جر، وهو موجه إلى أهل اللغة العربية.

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً *** وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتٍ

تظهر الإحالة في بداية البيت في جملة (أرى) التي تحتوي على الضمير المستتر (أنا) وهو كذلك راجع للغة العربية، وهذه إحالة نصية .

أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا *** فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ

جاءت جملة (أتوا أهلهم) مشتملة على ضميرين (واو الجماعة والضمير هم) وهي إحالة نصية إلى سابق، لأن الضميرين يعودان إلى (رجال الغرب) في البيت السابق.

وفي جملة (ليتكم تأتون) ضميران يساعدان في تماسك النص هما (ضمير جماعة المتكلمين «كم»، و «واو» الجماعة) وهي إحالات نصية إلى سابق حيث تعود هذه الضمائر على أهل اللغة العربية.

أَيَطْرَبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ *** يُنَادِي بِوَأْدِي فِي رِبْعِ حَيَاتِي

يضم البيت مجموعة من الإحالات، ففي جملة (أيطربكم) جاء الخطاب من اللغة العربية موجه إلى أهلها ومعاتباً لهم، وفي جملة (ينادي) يعود الضمير المستتر إلى كلمة (الغرب) في صدر البيت، وفي عبارة (بؤادي) يرجع ضمير الملكية إلى اللغة العربية، وكذلك في عبارة (حياتي)، والإحالة في العبارتين إحالة نصية.

وَلَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ *** مِمَّا تَحْتَهُ مِنْ غُرَّةٍ وَشَتَاتٍ

جاءت الإحالة في جملة (تزجرون الطير) مشتملة على الضمير (واو الجماعة) الموجه إلى جماعة المخاطبين، وكذلك (تاء الخطاب مع ميم الجمع) في جملة (علمتم)، وضمير المفرد الغائب المتصل في عبارة (تحتة) يعود إلى (الطير)، وكل هذه الضمائر لعبت دوراً في اتساق النص، والإحالة فيها إحالة نصية إلى سابق.

سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا *** يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي

في شبه الجملة (عليها) إحالة الضمير إلى جملة العلماء الذين كانوا يهتمون باللغة العربية وهي إحالة خارجية (مقامية) لأن الضمير يرجع إلى شيء خارج النص، وفي عبارة (قناتي) إحالة ضمير الملكية إلى اللغة العربية، وحل هذا الضمير مكان اللغة العربية كثيراً في هذه القصيدة.

حَفِظَنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ *** لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ

وإحالة الضمير في (حفظن) يرجع مجموعة العلماء، وهي إحالة خارجية، وضمير المتكلم في (ودادي) عائد على اللغة العربية، وفي جملة (حفظته) ترجع تاء المتكلم إلى اللغة العربية، ويرجع الضمير (الهاء) إلى ملفوظ سابق (ودادي)، ويحيل الضمير في (لهن) إلى مجموعة العلماء الذين اهتموا باللغة آنذاك.

وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقٌ *** حَيَاءً بِنَتِكَ الْأَعْظَمِ النَّخَرَاتِ.

في جملة (فاخرت) إحالة ضمير المتكلم إلى اللغة العربية، كما هو حال أكثر ضمائر المتكلم في القصيدة، فتكلم الشاعر عن فخر اللغة العربية وأنها نافست الغربيين بتلك العظام البالية في الوقت الذي طأطأ فيه الشرقيون رأسهم حياءً، واستخدم اسم الإشارة (تلك) في الإحالة إلى تلك الحقبة التي اهتمت باللغة العربية وهذه إحالة خارجية تفهم من خلال السياق.

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا *** مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بَغَيْرِ أُنَاةٍ

في جملة (أرى) ضمير مستتر تقدير (أنا) يحيل إلى اللغة العربية، وكذلك في جملة (يدنيني) ضمير مستتر يعود إلى لفظ سابق وهو كلمة (مزلقا)، وباء المتكلم تعود إلى اللغة العربية. فإحالة الضمائر هنا جعلت النص أكثر تماسكاً.

وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ صَجَّةً *** فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّاحِبِينَ نُعَاتِي

كل عناصر الإحالة في هذا البيت جاءت ضمائر متكلم، فالعلان (أسمع، أعلم) (فاعلهما ضمير مستتر تقديره (أنا) يعود إلى اللغة العربية، وضمير الملكية في (نُعَاتِي) يرجع كذلك إلى اللغة العربية.

أَيَّهْجُرْنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ *** إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرِوَاةٍ

في جملة (أيهجري قومي) تلعب ياء المتكلم دوراً مهماً في ترابط النص، ثم جاء ضمير جماعة الغائبين (عنهم) يعود إلى كلمة (قوم) فزاد النص تماسكاً، لأنه ربط بين الجملتين، وفي جملة (لم تتصل) ضمير مستتر يعود إلى الكلمة التي قبلها (لغة).

سَرَتْ لَوْثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى *** لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ

وفي جملة (سرت لوثة الإفرنج فيها) اشتملت الجملة على ضمير المؤنث الغائبة (فيها) وهو يحيل إلى اللغة العربية، وهنا وإن كان الضمير يعود إلى ما هو خارج النص لكن يصعب علينا أن نطلق عليها إحالة خارجية.

فَجَاءَتْ كَثُوبٌ صَمٌّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتٍ
إِلَى مَعَشَرِ الْكُتَّابِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَايِي

في عجز البيت اشتمل النص إلى ثلاثة من ضمائر المتكلم وهي: تاء المتكلم في (بسطت) وضمير الملكية في (رجائي - شكاتي) وجميعها إحالات سابقة وهي إحالات نصية داخلية.

فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَتْهُ الْمَيِّتَ فِي الْبَلَى *** وَتُنْبِئُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَايِي

تشتمل جملة (تبعت وتنبت) على ضمير مستتر تقديره (هي) يعود إلى (حياة)، فهذا الضمير ربط الجملتين وزاد من قوة تماسكهما، ثم جاءت إحالة اسم الإشارة (تلك) لتشير إلى ما هو خارج النص، فإذاً تعد هذه إحالة خارجية (مقامية).

وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ *** مَمَاتٌ لَعْمَرِي لَمْ يُقَسِّ مِمَاتٍ.

في عبارة (بعده) يعود الضمير المتصل إلى كلمة (ممات) وجاءت كلمة (ممات) مكررة في عجز البيت لتزيد النص قوة و تماسكاً، وهذه تُسمى بالإحالة الاسمية المكررة.
وجاء ضمير الملكية في عبارة (لعمري) وهو يعود إلى اللغة العربية:

الخاتمة:

بعد تحليل القصيدة ودراسة النص والتعمق فيه، يمكن أن نستخلص أهم نتائج الدراسة فيما يلي:
تنوعت الإحالات في هذه القصيدة وأخذت أشكالاً متعددة بعضها يختص بالضمائر وبعضها بأسماء الموصول وأخرى بأسماء الإشارة. وإحالة الضمائر في هذه القصيدة تتمركز بصورة واضحة حول (ضمير المتكلم) الذي يعود إلى اللغة العربية. لأن الشاعر في هذه القصيدة تحدث بلسان اللغة العربية.

- لعبت الإحالة دوراً كبيراً في ترابط النص واتساقه
- غلبة الإحالة النصية على الإحالة المقامية ، وبذلك أسهمت في اتساق القصيدة والربط بين مختلف أجزائها .
- كثرة الإحالة النصية القبلية مقارنة بالإحالة النصية البعدية .

- تعد الضمائر أقوى وسيلة من وسائل الترابط النصي وهي أكثر العناصر استخداما في القصيدة .
- أكثر الضمائر استخداما في القصيدة ضمائر المتكلم التي استخدمها الشاعر على لسان اللغة العربية.
- أما أسماء الإشارة فهي نادرة جدا وتمثلت في الأداة (تلك) ،وقد أحالت إحالة نصية بعدية مرة وإحالة مقامية مرة أخرى .
- تفتقر القصيدة إلى إحالة عنصر أسماء الموصول.

الهوامش:

- (1) أحمد عفيفي ، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة : ط:1، 2004 ، ص: 116
- (2) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1991م، ص17.
- (3) روبرت دي بوجراند : النص و الخطاب و الإجراء ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص172
- (4) صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية (دار قباء ، القاهرة ، 2001 ، ج1، ص 1.
- (5) صبحي إبراهيم الفقي : ص 1.
- (6) صبحي إبراهيم الفقي : ص 1.
- (7) محمد خطابي: لسانيات النص، ص17.
- (8) إيمان جربوعة: الإحالة ودورها في اتساق الخطاب الشعري الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 48، 2017م
- (9) عزة شبل محمد : علم لغة النص ، ص 120.
- (10) محمد خطابي: لسانيات النص، ص 19.
- (11) ديوان حافظ إبراهيم ، ج1، ص68.
- (12) الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى : 1396هـ):
الأعلام، الناشر : دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ، ج6، ص76.